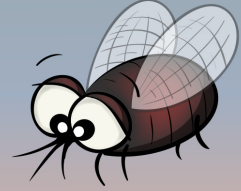


# العنكب الحزين

كامل كيلاني



العنكبُ الحزين



# العنكبُ الحزين

تأليف  
كامل كيلاني



رقم إيداع ١٦٥٣٥ / ٢٠١٢

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٠٢٢ ٠

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغداداي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

## العنكبُ الحزين

(١) حوار الأخوين



خرج «صفاً» و«سعاد» يتنزّهان - على عادتهما - في الدّسكرة. وما زالا في تجوالهما حتى تعبَا من المشي، فجلّسا في الحديقة، واستلقيا على أرضها السُّنْدُسيّة البهيجة.

فاسترعت بصرهما عنكبوة جميلة الشكل، وأدهشهما ما رأياه من هندسة بيتها، ودقة خيوطه، وبراعة نسجه. وظلاً يتأملان بيت العنكبوت الحاذقة ساعة، ويتعلمان النظر والفكر في دقائق هذه النساجة الذكية، الصناع اليد، ويطلقان التأمل في بدائع المهندسة البارعة المتفنتة. وقد امتلأت نفساهما دهشاً وإعجاباً بصبر هذه الحشرة الضئيلة ومثابرتها.

وصاحت «سعاد»: «تبارك الخلاق العظيم! أليس من العجب العاجب أن تهدي هذه الحشرة الضئيلة إلى دقائق من أسرار الهندسة، يحار فيها المتأمل وينبهر منها المفكر، ويقف أمامها العقل مدهوشاً؟»

فقال «صفاء»: «لقد تعلم الأقدمون من هذه المخلوقة الصغيرة، كيف يصنعون شبكهم وحبائلهم، ليصطادوا بها أسراب الطير والحيوان البري والبحري على السواء. ولعلك تذكرين قصة «الصياد الأفريقي» الذي كان يصطاد الوحوش برمحه، وكيف جرحه أحدها، وألقاه على الأرض.

وكيف استرعى بصر الصياد ما رآه من براعة أحد العناكب في اصطيد الذباب، ودهش لقدرة العجيبه على نسج الشباك، والحبائل المحكمة».

فصاحت «سعاد»: «صدقت — يا أخي — لقد ذكرت تلك الأسطورة الجميلة الآن، وذكرت أن ذلك الصياد نسج شباكه على منوال العنكب الذكي، فاصطاد كثيراً من أسراب الوحش.

ثم اردتقى في تقليد العنكب، فنسج ثياباً له ولزوجته ولجيرانه، فأعجبت بالصياد عشيرته، واتخذته قومه زعيماً لهم وأستاذاً».

فقال «صفاء»: «لا تنسى أنه قال للمعجبين به: «إن أستاذي ومُرشدي إلى هذا الاختراع الجليل هو: العنكب الذكي الصناع!»

فألت «سعاد»: «صدقت — يا أخي — وسأرجع إلى الجزء الأول من كتاب القصص الجغرافية، الذي سجل فيه أبي تلك الأسطورة العجيبة، لأقرأها مرة أخرى».

فقال «صفاء»: «ولقد قص علينا أستاذ الإنشاء — في هذا العام — أن ملكاً من الأقدمين دب إلي قلبه ديبب اليأس، بعد أن هزمه العدو؛ فجلس مطرقاً، حزين القلب، مُشرد الفكر. وإنه لغارق في همومه، إذ حانت منه التفاتة؛ فرأى عنكبوة تنسج خيوطها،

## العنكبُ الحزين

وأبصرها تقذف بأحد الخيوط إلى ركن الغرفة فلا يقرُّ فيه، فتعيد الكرة ثانية وثالثة ورابعة بلا جدوى. وما زالت العنكبُ جادةً في تحقيق غايتها، دون أن يجد اليأس إلى قلبها سبيلاً، حتى تبت الخيط في المرة الثالثة عشرة؛ فكان ذلك النجاح — بعد المثابرة — أبلغ درس يُعلم الملك المهزوم فضل الأناة والصبر، ويُنسيه مرارة الهزيمة وألم اليأس. فضاغف من همته، وقوى من عزمته، وما زال بأعدائه حتى كتب له النصر في الموقعة الأخيرة. وكان الفضل — في ذلك النصر — عائداً إلى اقتدائه بالعنكبُ الجادة المجدة المثابرة!

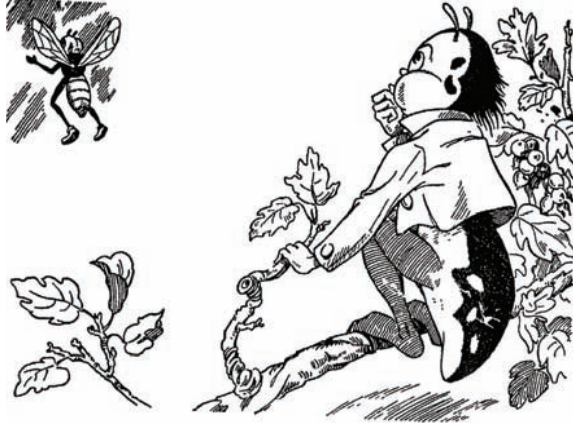




(٢) جِوَارُ أُمِّ «قَشْعَمِ»

فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «مَا أَعْجَبَ أَمْرَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَةِ الضَّئِيلَةِ، الَّتِي أَحْرَزَتْ — عَلَى حَقَارَةِ بِنْيَتِهَا — عَقْلًا كَبِيرًا، وَجَمَعَتْ حِدْقًا وَمَهَارَةً يُحِيرَانِ الْأَلْبَابَ!»  
 وَمَا أَتَمَّتْ «سُعَادُ» جُمْلَتَهَا، حَتَّى أَقْبَلَ أَخُوهَا «رَشَادُ» الصَّغِيرُ، وَفِي يَدِهِ عَصَا طَوِيلَةً يَعْبَثُ بِهَا فِي أَثْنَاءِ سَيْرِهِ، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ مِنْ «سُعَادَ» حَانَتْ مِنْهُ التِّفَاتُ، فَرَأَى الْعَنْكَبَةَ قَرِيبَةً مِنْهُ؛ فَهَمَّ بِتَحْطِيمِ بَيْتِهَا بِعِصَاهُ.  
 وَأَدْرَكَ «صَفَاءُ» مَا يَجُولُ بِخَاطِرِ أَخِيهِ، فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ، وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ.  
 فَغَضِبَ «رَشَادُ» الصَّغِيرُ، وَقَالَ لِأَخِيهِ «صَفَاءُ» وَقَدْ سِيءَ وَجْهُهُ: «لَقَدْ حَرَمْتَنِي يَا «صَفَاءُ»، مُتَعَةً كَانَتْ تَصُوبُ إِلَيْهَا نَفْسِي. مَا كَانَ ضَرَكٌ — يَا أَخِي — لَوْ أَطْلَقْتَ لِي حُرِّيَّتِي، لِأَلْهُوَ بِهِذِهِ الْحَشْرَةِ الضَّئِيلَةِ، الَّتِي لَا شَأْنَ لَهَا وَلَا خَطَرَ؟»

(٣) نَشِيدُ الْعَنْكَبَةِ



وَهُنَا انْبَعَثَ مِنْ بَيْنِ الْخُيُوطِ الْعَنْكَبِيَّةِ الدَّقِيقَةِ صَوْتُ خَافِتٍ، يَقُولُ: «هُوْنَ عَلَيْكَ يَا «رَشَادُ»، أَنَا لَسْتُ — كَمَا حَسِبْتَنِي — حَشْرَةً ضَّئِيلَةً، لَا شَأْنَ لِي وَلَا خَطَرَ. إِنَّ فَضْلَ الْعَنَاكِبِ عَلَى

## العَنْكَبُ الحَزِين

بني الإنسان لجديرٌ بالثناء. وإنَّ مَهَارَتَنَا في النَّسجِ، ومُثَابِرَتَنَا عَلَى العَمَلِ — بلا مَلالٍ ولا  
كَلالٍ — قَدْ أَصَبَحَتْ مَضْرِبَ الأمثالِ..»

فَعَجِبَ «رِشَادُ» وأَحْوَاهُ مِمَّا سَمِعُوهُ مِنْ تِلْكَ العَنْكَبَةِ الذِّكِّيَّةِ، واسْتَوَلَتْ عَلَيْهِمُ الحَيْرَةُ،  
وَتَمَلَّكَهُمُ الدَّهْشُ.

وإنَّهُمْ لَغَارِقُونَ في ذُهولِهِم مِمَّا سَمِعُوهُ، إِذَا بِالْعَنْكَبَةِ في الشُّعِّ (وهو بَيْتُ العُنَاكِبِ)  
تَغْنِي بِصَوْتِ واضِحِ الذُّبُرَاتِ:

مَهَارَةُ العُنَاكِبِ	أَعَجَبُ شَيْءٍ عَاجِبٍ
هَنْدَسَةٌ دَقِيقَةٌ	تَبْهَرُ عَقْلَ الحَاسِبِ
دَائِبَةُ السَّعْيِ، وَمَا	يَفُوزُ غَيْرُ الدَّائِبِ
جَائِمَةٌ — فِي بَيْتِهَا —	لِحَاضِرٍ، وَغَائِبِ
تَرْقُبُ كُلَّ زَائِرٍ،	مِنْ قَادِمٍ، وَذَاهِبِ
تُوقِعُ — فِي شِبَاكِهَا —	كُلَّ غَيْبِيٍّ خَائِبِ
تَرَى بَعِينٍ لَا تَنِي	تَرَى بِفِكْرٍ ثاقِبِ
بَارِعَةً — فِي كَيْدِهَا —	سَدِيدَةَ المَذَاهِبِ
نَاسِجَةٌ خُيُوطِهَا	عَلَى مِثَالِ صَائِبِ
كَثِيرَةٌ أَرْجُلُهَا،	طَوِيلَةٌ المَخَالِبِ
لَهَا عُيُونٌ جَمَّةٌ،	تَرْنُو بِلا حَواجِبِ
وَهْيَ — إِذَا دَرَسَتْهَا —	عَجِيبَةُ العَجَائِبِ!

## (٤) قاتِلَةُ الرُّبُبارِ

اشْتَدَّ عَجَبُ الإِخْوَةِ الثَّلَاثَةِ مِمَّا سَمِعُوا، وَأَقْبَلُوا عَلَى العَنْكَبَةِ الذِّكِّيَّةِ مُنْصِتِينَ إِلَى حَدِيثِهَا  
المُعْجِبِ، فاستأنفتُ قائلَةً: «أَصغِ إِلَيَّ يا «رِشَادُ»: أَلَا تَعْرِفُ أَنَّنِي قَدْ أَسَدَيْتُ إِلَيْكَ صَنِيعًا  
لَا يُنْسَى؟ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّنِي أَنْقَذْتُكَ مِنْ لَسَعَةِ زَنْبَارِ شَرَسٍ، كانَ يَهُمُّ بِإِيدَانِكَ في الأُسْبُوعِ  
المَاضِي؟»

فَقَالَ لَهَا «رِشَادُ» وَأَحْوَاهُ مُتَعَجِّبِينَ: «أَيَّ زَنْبَارٍ تَعْنِينَ أَيَّتُهَا العَنْكَبَةُ الكَرِيمَةُ؟»

## العنكبُ الحزين

فَقَالَتِ الْعَنْكَبَةُ مَرْهُوَّةً تَيَّاهَةً: «لَحْتُ — مِنْذُ أَيَّامٍ — زِنْبَارًا حَبِيثًا، يَطْنُ طَنِيبًا مُزْعَجًا. رَأَيْتُهُ يَقْتَرِبُ مِنْ «رَشَادٍ» وَيَهْمُ بِلِسْعِهِ، فَتَرَبَّصْتُ بِهِ الدَّوَائِرَ، وَصَبَرْتُ عَلَيْهِ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْ شِبَاكِي. وَمَا زِلْتُ بِهِ أُخَادِعُهُ وَأُغْرِيه، حَتَّى وَقَعَ فِي حَبَائِلِي أَسِيرًا، وَظَفَرْتُ بِهِ بَعْدَ عَنَاءٍ شَدِيدٍ. ثُمَّ أَنْشَبْتُ فِيهِ مَخَالِبِي، وَنَفَقْتُ فِي جِسْمِهِ مِنْ سَمِّي، حَتَّى خَدِرَتْ أَعْصَابُهُ، وَتَمَّ لِي افْتِرَاسُهُ، وَكَانَ لِي أَشْهَى طَعَامٍ أَكَلْتُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ».

فَصَفَّقَ الْإِخْوَةُ الثَّلَاثَةُ لِمَا سَمِعُوا مِنْ حَدِيثِ الْعَنْكَبَةِ، وَأَعْجَبُوا بِبِرَاعَتِهَا وَحَذَقِهَا. ثُمَّ قَالَ لَهَا «صَفَاءُ»: «أَنْتِ أَسَدِيَّةٌ إِلَيْنَا صَنِيعًا نَذْكُرُهُ لِكَ أَبَدِ الدَّهْرِ، وَسَنَنْجِدُكَ لَنَا صَدِيقَةً، مِنْذُ الْيَوْمِ، فَمَاذَا أَنْتِ قَائِلَةٌ؟»

فَقَالَتِ الْعَنْكَبَةُ: «مَا أَسْعَدَنِي بِصِدَاقَتِكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُتَحَابُّونَ. سَأَكُونُ لَكُمْ خَيْرَ صَدِيقٍ تَأْنَسُونَ بِهِ، وَتُخَلِّدُونَ إِلَيْهِ».

فَقَالَ لَهَا «صَفَاءُ»: «شُكْرًا لِكَ — أَيَّتُهَا الْعَنْكَبَةُ الظَّرِيفَةُ — عَلَى كَرِيمِ تَلَطُّفِكَ، وَمَوْفُورِ أَدَبِكَ. فَهَلْ أَنْتِ مُتَفَضِّلَةٌ عَلَيْنَا، فَذَاكَرَةَ لَنَا كُنْيَتِكَ، لِنُكْرِمَكَ بِهَا كَلِمًا نَادِينَاكَ؟»  
فَقَالَتِ الْعَنْكَبَةُ: «كَانَتْ أُمِّي «الرُّتَيْلَاءُ» تُنَادِينِي — مِنْذُ وَلَدْتَنِي — بِأُمَّ قَشْعَمٍ».

### (٥) مَوْلِدُ الْعَنْكَبَةِ

فَقَالَ «صَفَاءُ»: «وَأَيْنَ أُمُّكِ الرُّتَيْلَاءُ الْعَزِيزَةُ أَيَّتُهَا الصَّدِيقَةُ الْمُؤْنِسَةُ؟»  
فَقَالَتْ «أُمُّ قَشْعَمٍ»: «مَاتَتْ أُمِّي «الرُّتَيْلَاءُ»، بَعْدَ أَنْ خَرَجْتُ مِنْ بَيْضَتِي. لَمْ أَنْعَمْ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ».  
فَصَاحَتْ «سُعَادُ»: «كَيْفَ تَذْكُرِينَهَا — يَا «أُمَّ قَشْعَمٍ» — وَأَنْتِ لَمْ تَرِيهَا فِي حَيَاتِكَ قَطُّ؟»

فَقَالَتْ «أُمُّ قَشْعَمٍ»: «أَنَا رَأَيْتُهَا حِينَ خَرَجْتُ مِنَ الْبَيْضَةِ. إِنَّنَا — مَعَشَرَ الْعَنَاكِبِ — نَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضَةِ رَاشِدِينَ، مُكْتَمِلِي الْخَلْقَةِ، هَذَا هُوَ شَأْنِي وَشَأْنُ بَنَاتِ جِنْسِي جَمِيعًا».  
فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «هَلْ وَضَعَتْ أُمُّكِ «الرُّتَيْلَاءُ» بَيْضَةً وَاحِدَةً، هِيَ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا، يَا أُمَّ قَشْعَمٍ؟»

أَجَابَتْ «أُمُّ قَشَعِمٍ» ضاحِكَةً: «كَلَّا يَا «سُعَادُ»، أُمِّي وَضَعْتُ أَرْبَعِينَ بَيْضَةً. أَنَا كُنْتُ إِحْدَى مَوْلُودِيهَا الْكَثِيرِينَ!»

فَصَاحَ «رَشَادُ»: «كَيْفَ تَبِيضُ أُمُّكَ مِثْلَ هَذَا الْقَدْرِ الْعَظِيمِ؟»

قَالَتْ «أُمُّ قَشَعِمٍ»: «إِنَّا — مَعْشَرَ الْعَنْكَبَاتِ — نَبِيضُ مِنْ عَشْرِ بَيْضَاتٍ إِلَى مِائَةِ بَيْضَةٍ. وَقَدْ يَبْلُغُ مَا يَبِيضُهُ بَعْضُ بَنَاتِ جِنْسِنَا ثَمَانِمِائَةَ بَيْضَةٍ، فَإِذَا أَفْرَخَ الْبَيْضُ خَرَجَتْ الْعَنْكَبُ إِلَى الْجُعْدَبَةِ (بَيْتِ الْعَنْكَبِ) نَامِيَةَ الْحَلْقَةِ. وَلَا تَزَالُ تَنْمُو، مُتَدَرِّجَةً فِي نَمَائِهَا، حَتَّى تُصْبِحَ مِثْلَ أُمَّتِهَا.»

فَقَالَ «صَفَاءُ»: «أَنْتِ أَخْبَرْتِنَا أَنَّ أُمُّكَ «الرُّتَيْلَاءُ» مَاتَتْ بَعْدَ أَنْ خَرَجَتْ أَنْتِ مِنَ الْبَيْضَةِ، فَخَبِّرِينِي: أَذَلِكَ شَأْنُ أُمَّاتِ الْعَنْكَبِ دَائِمًا؟ هَلْ تَمُوتُ الْأُمَّاتُ بَعْدَ فَقْسِ الْبَيْضِ كَمَا مَاتَتْ أُمُّكَ؟»

فَقَالَتْ «أُمُّ قَشَعِمٍ»: «إِنَّ أَكْثَرَ الْعَنْكَبَاتِ يَهْلِكُنَّ بَعْدَ أَنْ يَضَعْنَ الْبَيْضَ، أَوْ عَقِبَ تَرْبِيَةِ أَطْفَالِهِنَّ النَّاشِئِينَ. عَلَى أَنْ بَعْضُنَا قَدْ يُعْمَرُ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةً.»

ثُمَّ اسْتَأْنَفَتِ الْعَنْكَبَةُ قَائِلَةً: «مَتَى وَضَعْتَ الْعَنْكَبَةَ الْبَيْضَ، نَسَجْتَ حَوْلَهُ غِلَافًا لَوْقَائِيهِ مِنَ الْأَحَادِثِ وَالْخُطُوبِ. فَإِذَا تَمَّ فَقَسَ الْبَيْضَ خَرَجَتْ مِنْهُ الْعَنْكَبَاتُ وَالْعَنْكَبُ مُسْتَقْبِلَةَ الْحَيَاةِ، وَقُلُوبُهُنَّ مَمْلُوءَاتٌ أَمَلًا وَرَجَاءً، وَنَفُوسُهُنَّ مُفْعَمَاتٌ بِحُبِّ الْعَمَلِ وَالْمُنَابَرَةِ.»

فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «أَرَأَيْكَ تُقَسِّمِينَ أَبْنَاءَ «الرُّتَيْلَاءِ» إِلَى: عَنْكَبَاتٍ وَعَنْكَبِ، فَخَبِّرِينَا، يَا «أُمُّ قَشَعِمٍ»: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى؟»

فَقَالَتْ «أُمُّ قَشَعِمٍ»: «إِنَّ الْعَنْكَبَةَ أَكْثَرُ نَفْعًا، وَأَعْمُ فَائِدَةً، وَأَوْفَرُ عَمَلًا، مِنْ أُخِيهَا الْعَنْكَبِ، لِأَنَّهَا تُؤَدِّي مِنْ جَلَائِلِ الْأَعْمَالِ مَا لَا يُؤَدِّيهِ. فَهِيَ تَغزُلُ، وَتَنْسُجُ بَيْتِهَا، وَتَقُومُ بِكُلِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأَسْرَةُ. أَمَّا الْعَنْكَبُ فَهُوَ لَا يَنْشِطُ إِلَى النَّسْجِ إِلَّا مُضْطَرًّا، وَهُوَ أَقْلُ صَبْرًا عَلَى الْعَمَلِ، وَاحْتِمَالًا لِلْمُنَابَرَةِ، كَمَا أَنَّهُ أَصْغَرُ جِسْمًا، وَأَقْلُ قُوَّةً.»

(٦) نشأة «أم قشعم»

فَقَالَ «صَفَاءُ»: «أَيْنَ وُلِدْتَ يَا أُمَّ قَشَعْمَ؟»

قَالَتِ الْعَنْكَبَةُ: «أَنَا وُلِدْتُ فِي بَيْتِ عَمِيدِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، حَيْثُ نَسَجْتُ أُمِّي «الرُّتَيْلَاءُ» بَيْتَهَا الْجَمِيلَ، فِي إِحْدَى الْغُرَفِ الْمَهْجُورَةِ. وَظَلَلْتُ وَإِخْوَتِي نَسْكُنُ هَذَا الْبَيْتَ بَعْدَ مَوْتِ أُمَّنَا، حَتَّى جَاءَ خَادِمٌ خَبِيثٌ زَلْزَلَ بَيْتَنَا فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَأَعَدْتُ نَسَجَ الْبَيْتِ — مِنْ جَدِيدٍ — بَعْدَ سَاعَةٍ مِنَ الزَّمَنِ. فَلَمَّا جَاءَ الْعُدُ عَادَ إِلَيْنَا الْخَادِمُ الشَّرِيرُ، فَنَقَضَ بَيْتَنَا مَرَّةً أُخْرَى؛ فَهَجَرْتُ ذَلِكَ الْمَكَانَ إِلَى حَافَةِ النَّهْرِ. وَنَسَجْتُ لِي بَيْتًا جَمِيلًا فِي تَنَائِيَا إِحْدَى الْأَشْجَارِ. وَمَا لَبِثْتُ فِيهِ أُسْبُوعَيْنِ حَتَّى رَأَيْتُ بَعْضَ الضَّفَادِعِ يَأْتِمُرُ بِي لِيقْتُلَنِي. فَهَجَرْتُ بَيْتِي إِلَى جِدَارٍ قَدِيمٍ مَهْجُورٍ، حَيْثُ بَنَيْتُ لِي دَارًا أَيْقَنَةً. وَلَكِنِّي لَمْ أُسْتَقِرَّ فِيهَا حَتَّى رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ كِبَارِ الْبَرِصَةِ تَأْتِمُرُ بِي لِتَقْتُلَنِي، فَهَرَبْتُ مِنْهَا، وَآثَرْتُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ. وَمَا زِلْتُ أَمْشِي حَتَّى سَاقَتْنِي الْمَقَادِيرُ إِلَى هَذِهِ الْحَدِيقَةِ الْجَمِيلَةِ، حَيْثُ بَنَيْتُ هَذَا الْبَيْتَ الْفَاحِخَ، الَّذِي تَرَوْنَهُ أَمَامَكُمْ!»

(٧) سِبَاعِ الْعَنَاكِبِ

فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «أَتَمَنَّى لِكَ عَيْشَةً رَاضِيَةً، يَا «أُمَّ قَشَعْمَ». وَأُحِبُّ أَنْ تُخْبِرَنِي — أَيُّهَا الْعَزِيزَةُ — كَيْفَ تَخْشَيْنَ الْبَرِصَةَ؟ إِنَّ أَحَدَ الْمُدْرَسِينَ أَخْبَرَنَا فِي بَعْضِ دُرُوسِهِ أَنَّكُمْ — مَعْشَرَ الْعَنَاكِبِ — تَأْكُلُونَهَا؟»

فَقَالَتْ «أُمَّ قَشَعْمَ»: «صَدَقَ الْمُدْرَسُ. إِنَّ بَعْضَ بَنَاتِ جِنْسِنَا — مِنْ كِبَارِ الْعَنَاكِبِ — يَفْتِكُنَ بِالْبَرِصَةِ، كَمَا يَفْتِكُنَ بِكِبَارِ الْحَشْرَاتِ، وَصِغَارِ الْعَصَافِيرِ.»

فَقَالَ «صَفَاءُ»: «صَدَقْتِ يَا «أُمَّ قَشَعْمَ». إِنَّ الْأُسْتَاذَ حَدَّثَنِي أَنَّ نَوْعًا مِنْ سِبَاعِ الْعَنَاكِبِ النَّاشِئَةِ فِي بِلَادِ «الْبِرَازِيلِ»، تَصُدُقُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَوْصَافُ الَّتِي تَذَكِّرُنِيهَا.»

فَقَالَتْ «أُمَّ قَشَعْمَ»: «حَدَّثْتَنَا بَنَاتُ «الرُّتَيْلَاءِ» عَنْ هَذِهِ الْعَنْكَبَاتِ الَّتِي وَصَفْتَهَا لَكَ يَا «صَفَاءُ». وَهِيَ — كَمَا قُلْتِ — مِنْ سِبَاعِ الْحَشْرَاتِ.»

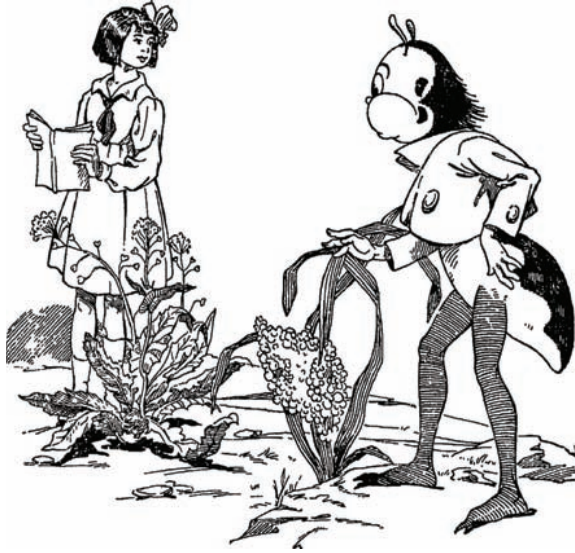
## (٨) مزايا العناكبِ

فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «إِنَّ جِسْمَكَ — فِيمَا أَرَى — نَاعِمٌ الْمَلْمَسِ، لَسْتُ أَدْرُكُ أَنَّي رَأَيْتُ حَسْرَةً تُشْبِهُكَ فِي هَذِهِ الْمِيزَةِ.»

فَقَالَتْ «أُمُّ قَشْعَمٍ»: «إِنَّ اللَّهَ مَيَّزَنَا — مِنْ بَيْنِ الْحَشَرَاتِ كُلِّهَا — بِنُعُومَةِ الْجِسْمِ، وَخَصَّنَا بِهَذِهِ الْمِيزَةِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِنَا، وَتَبَايُنِ أَجْنَاسِنَا، وَتَفَرُّقِ أَوْطَانِنَا. وَجَعَلَ أَجْسَامَنَا مُؤَلَّفَةً مِنْ حَلَقَاتٍ لَا تَكَادُ تَرَاهَا الْعَيْنُ، لِتَقَارِبِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ!»

فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «أَسْمَعُكَ تَقُولِينَ: إِنَّكُمْ مُخْتَلِفُو الْأَجْنَاسِ. فَهَلْ تُعْنِينَ أَنَّ بَعْضَ الْعَنَاكِبِ يَخْتَلِفُ عَنْ بَعْضٍ؟»

فَقَالَتْ «أُمُّ قَشْعَمٍ»: «مَا فِي ذَلِكَ رَيْبٌ يَا «سُعَادُ»، إِنَّنَا — مَعْشَرَ الْعَنَاكِبِ — أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى؛ فَمِنَّا مَنْ يَتَّخِذُ لَهُ جُحْرًا يَحْفَرُهُ فِي الْأَرْضِ، وَيُخْفِيهِ عَنِ الْعُيُونِ، وَيُقِيمُ فِيهِ طُولَ يَوْمِهِ. فَإِذَا أَمْسَى، فَتَحَّ بَابَ الْجُحْرِ، وَخَرَجَ مُلْتَمِسًا رِزْقَهُ؛ حَتَّى إِذَا شَبِعَ، عَادَ إِلَى جُحْرِهِ، وَأَقَامَ فِيهِ بَعِيدًا عَنْ عُيُونِ الرُّقَبَاءِ. وَمِنَّا مَنْ يَبْنِي بُيُوتَهُ فِي الْبَسَاتِينِ، أَوْ فِي بُيُوتِ النَّاسِ. وَمِنَّا مَنْ يَبْنِيهَا فَوْقَ مَسَارِبِ الْمِيَاهِ، وَيَنْسُجُ خَيْوطَهُ الطَّوِيلَةَ عَلَى شَجَرَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ مِنَ الشَّاطِئَيْنِ. أَمَّا عُيُونُنَا فَهِيَ لَا تَتَحَرَّكُ كَمَا تَتَحَرَّكُ عَيْنَا الْإِنْسَانِ، وَلِهَذَا جَعَلَ لَنَا اللَّهُ — سُبْحَانَهُ — كَثِيرًا مِنَ الْعُيُونِ، لِنَرَى بِهَا كُلَّ مَا يَكْتَنِفُنَا مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَقَدْ وَهَبَ اللَّهُ لِبَعْضِنَا عَيْنَيْنِ — كَمَا وَهَبَ لَكُمْ مَعْشَرَ النَّاسِ — وَوَهَبَ لِبَعْضِ الْآخَرِ عُيُونًا أَرْبَعًا، وَوَهَبَ لِرَفِيقِي ثَالِثَ عُيُونًا سِتًّا، أَوْ ثَمَانِي، أَوْ عَشْرًا، أَوْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ.»



فصاح «رشاد»: «ما أطول أَرْجلك، يا أمَّ قَشْعَم!»  
 فصَحِكَتِ العنكبَةُ قائلةً: «لا يدهشَنَّكُمْ طُولُ أَرْجُلِي — أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَعزَّاءُ — فَقَدْ  
 خَلَقَهَا اللهُ كَذَلِكَ لِتُسَاعِدَنِي عَلَى الجَرْيِ فِي خِيفَةِ نَادِرَةٍ. وَقَدْ مَيَّرَنَا اللهُ — سُبْحَانَهُ —  
 بِالنَّشَاطِ وَالسَّرْعَةِ. وَلَوْ تَأَمَّلْتُمْ مَخَالِبِي القَوِيَّةَ، لاشْتَدَّ عَجَبُكُمْ، وَأَنْسَتُكُمْ دَهْشَتُكُمْ مِنْهَا  
 كُلَّ شَيْءٍ.»

فَقَالَتْ «سُعادُ»: «وَأَيُّ مِيزَةٍ فِي هَذِهِ المَخَالِبِ الَّتِي تُزْهِينَ بِهَا؟»  
 فَقَالَتْ العنكبَةُ: «لَقَدْ خَصَّنِي اللهُ بِهَا، لِيُمْكِّنَنِي مِنَ الِفتِكِ بِالحَشَرَاتِ الضَّارَّةِ، الَّتِي  
 تُؤْذِيكُمْ، وَتُنْغِصُ عَلَيْكُمْ حَيَاتِكُمْ. وَلَوْلانا لَامْتَلَأَتِ الدُّنْيَا بِتِلْكَ الحَشَرَاتِ الَّتِي تُهْلِكُ حَرْتُكُمْ،  
 وَتَعِيثُ فِي أَرْضِكُمْ وَحُقُولِكُمْ فَسادًا.»

فَقَالَتْ «سُعادُ»: «لَقَدْ خَلَقَكُمْ اللهُ — مَعَشَرَ العنَاكِبِ — رَحْمَةً بِالنَّاسِ، فَمَا بِالْكُمْ لا  
 تَنْتَشِرُونَ فِي بِلَادِ الأَرْضِ كُلِّهَا، لِتَقْضُوا عَلَى الحَشَرَاتِ المُؤْذِيَةِ؟»  
 فَقَالَتِ العنكبَةُ: «إِنَّا قَلَمَّا يَخْلُو مِنَّا بَلَدٌ، أَوْ بَيْتٌ، أَوْ حَقْلٌ؛ مِنْ حَطِّ الإِسْتِواءِ إِلَى  
 أَقاصِي الشَّمَالِ. وَلَوْلانا لَامْتَلَأَ الجَوُّ بِالدَّبَابِ وَالبَعُوضِ، وَأَشْبَاهِهَا مِنَ الحَشَرَاتِ المُؤْذِيَةِ.»

فَقَالَ «رَشَادُ»: «فَمَا بِالْكِ تَأَلَّفَيْنِ الْأَمَاكِنَ الْقَدِرَةَ، وَالْأَرْجَاءَ الْمَهْجُورَةَ، وَتُوَثِّرِينَهَا عَلَى الْجِهَاتِ النَّظِيفَةِ؟»

فَقَالَتِ الْعَنْكَبَةُ: «إِنَّا نَكْتُرُ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْحَشْرَاتِ الضَّارَّةَ تَكْتُرُ فِيهَا، وَهِيَ مَصْدَرُ غِذَائِنَا الَّذِي نَقْتَاتُ بِهِ.»

فَقَالَ «رَشَادُ»: «إِنَّكَ ضَعِيفَةٌ، لَا قُوَّةَ لَكَ، وَمَا أَرَى خُيُوطَكَ إِلَّا وَاهِيَةً، فَكَيْفَ تَزْعَمِينَ أَنَّكَ قَادِرَةٌ عَلَى افْتِنَاصِ الْحَشْرَاتِ فِيهَا؟»

فَقَالَتِ الْعَنْكَبَةُ: «إِنِّي — عَلَى ضَعْفِي — بَارِعَةٌ الْحَيْلَةَ، وَقَدْ وَهَبَنِي اللهُ صَبْرًا وَجَلَدًا

نَادِرَيْنِ. وَقَلَّمَا تَنْجُو فَرِيْسَةٌ مِنْ بَيْنِ مَخْلَبِيَّ. وَإِنِّي لَأَسْتَدْرِجُهَا، حَتَّى تَقَعَ فِي حِبَالْتِي؛

فَأَنْفَتَ فِيهَا مِنْ مَخْلَبِي السَّمِّ، حَتَّى يُنْهَكَ قُوَاهَا، وَلَا تَجِدَ سَبِيلًا إِلَى النَّجَاةِ، وَيَكُونَ

نَصِيبَهَا الْهَلَاكُ؛ مَهْمَا بَدَلْتَ مِنْ جُهْدٍ وَمُقَاوَمَةٍ. وَإِنِّي لَأَثْبُ عَلَى الذَّبَابَةِ فَلَا أَكَادُ أَخْطُئُهَا.

أَمَّا خُيُوطِي هَذِهِ فَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ — مُنْذُ أَقْدَمِ الْعُصُورِ — كَيْفَ يَنْسُجُونَ شَبَاكَهُمْ وَثِيَابَهُمْ

عَلَى مَنَوَالِهَا. وَقَدْ حَاوَلُوا — مُنْذُ الْقَرْنِ الْمَاضِي — أَنْ يَنْسُجُوا مِنْ خُيُوطِي ثِيَابَهُمْ، فَلَمْ

يُوفِّقُوا إِلَى ذَلِكَ. وَلَكِنَّ شَغَفَهُمْ بِدِقَّةِ هَذَا النَّسْجِ وَإِحْكَامِهِ قَدْ حَفَزَهُمْ إِلَى تَدْلِيلِ الْعَقَبَاتِ

فِي سَبِيلِ هَذِهِ الْغَايَةِ. وَمَا زَالُوا يَعْمَلُونَ الْحَيْلَةَ، حَتَّى وَفَّقَ الصَّيْنِيُّونَ — مُنْذُ عَهْدِ قَرِيبٍ

— إِلَى أَخْذِ قِطْعٍ مِنْ نَسِيجِ الْعِنَاكِبِ، وَأَرْسَلُوهَا إِلَى «أُورُبَّةَ» لِتَخْلُطَ بِالْحَرِيرِ، فَتَزِيدَ النَّسْجَ

رَوْعَةً وَجَمَالًا. وَقَدْ لَقُوا فِي ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ الْعِنَاءِ مَا لَا يُوصَفُ.»





### (٩) فَحْرُ العَنَّاكِبِ

وَأَمْتَلَّاتِ العَنكَبَةُ زَهْوَ وَخَيْلَاءَ، بِمَا حَصَّهَا اللهُ بِهِ مِنْ مَزَايَا نَادِرَةٍ، فَاَنْطَلَقَتْ تُغْنِي نَشِيدَ العَنَّاكِبِ، فِي صَوْتِ وَاضِحِ النَّبْرَاتِ:

نَحْنُ العَنَّاكِبُ، أَبْنَاءَ الرُّتَيْلَاءِ	وَفَوْقَ مُرْتَفِعٍ، أَوْ فَوْقَ مُنْخَفِضٍ
وَتَحْتَ أَقْبِيَّةٍ، أَوْ فَوْقَ رَابِيَّةٍ،	وَفِي المَنَازِلِ: كَمْ نَبْنِي مَسَاكِنَنَا
وَرُبَّمَا نَحْفَرُ الأَجْحَارَ نَسْكُنُهَا	وَقَدْ جَعَلْنَا لَهَا بَابًا يُؤْمِنُنَا
نَبْنِي البُيُوتَ عَلَى الأشْجَارِ وَالمَاءِ	وَفِي البَسَاتِينِ، أَوْ فِي عُرْضِ بَطْحَاءِ
وَفِي شَفَا حُفْرَةٍ، أَوْ فَوْقَ عَلِيَاءِ	تَحْتَ السَّقُوفِ، وَفِي أَرْكَانِ أَفْنَاءِ
وَقَدْ نَعْمْنَا بِهَا، فِي جَوْفِ ظَلْمَاءِ	— إِذَا أَقْمْنَا بِهَا — مِنْ شَرِّ أَعْدَاءِ

نَظَلُّ فِيهَا — نَهَارًا — وَاِدْعِينَ، فَإِنْ  
نَسَعَى إِلَى الْقُوْتِ مَهْمَا عَزَّ مَطْلَبُهُ  
وَكَمْ نُهَيْرُ نَسَجْنَا — فَوْقَ صَفْحَتِهِ  
بَيْتًا — عَلَى جَنَابَاتِ الْمَاءِ — نَزَعُهُ  
يَا حُسْنَ هُنْدَسَةٍ، مِنْ نَاسِجٍ صَنَعَ  
وَكَمْ أَسْرْنَا بَعُوضًا — فِي حِبَالِنَا —  
تَهْوِي الْفَرَائِسُ أَسْرَى — فِي حِبَالِنَا  
فَنَنْفُتُ السَّمَّ فِيهَا مِنْ مَخَالِبِنَا  
وَهَلْ نَسَجْتُمْ شَبَاكَ الصَّيْدِ مِنْ قَدَمِ

جَنَّ الظَّلَامُ، دَرَجْنَا بَيْنَ أَحْيَاءِ  
فِي كُلِّ دَانَ — مِنَ الْأَقْطَارِ — أَوْ نَائِي  
بَيْتًا يُحَيِّرُ الْأَبَابَ الْأَلْبَاءِ  
مِنَ الْخُيُوطِ، فَيَبْدُو بِهَجَّةِ الرَّائِي  
يَسْمُو عَلَى كُلِّ نَسَاجٍ، وَوَشَاءِ!  
وَكَمْ قَنَصْنَا ذُبَابًا، بَعْدَ إِغْرَاءِ  
مِنْ كُلِّ بَلْهَاءٍ، تَمْشِي حَبْطَ عَشْوَاءِ  
فَلَا تَرَى — بَعْدَ جِينِ — غَيْرَ أَشْلَاءِ!  
إِلَّا مُحَاكِينَ مِنْوَالِ الرُّتِيَلَاءِ!؟

### (١٠) بَيْنَ «صَفَاءٍ» وَ«أُمِّ قَشَعَمٍ»

وَقَدْ أُعْجِبَ الْإِخْوَةُ الْأَشْقَاءُ الثَّلَاثَةُ بِهَذَا النَّشِيدِ الرَّائِعِ، وَشَكَرُوا لِلْعَنْكَبَةِ هَذِهِ الْفُرْصَةَ  
السَّعِيدَةَ، وَتِلْكَ الْفَوَائِدَ الطَّرِيفَةَ الَّتِي هَيَّأَتْهَا لَهُمْ.

وَهُمُوا بِالْإِنْصِرَافِ، وَلَكِنَّ «صَفَاءً» قَالَ لَهَا، وَهُوَ يُودِعُهَا: «لَقَدْ حَدَّثْتَنِي أَنَّ لَكَ إِخْوَةً  
مِنَ الْعَنَاكِبِ، فَأَيْنَ هُمْ؟»

فَقَالَتِ الْعَنْكَبَةُ: «إِنَّ الْعَنَاكِبَ لَا تَكَادُ تَكْبُرُ حَتَّى تَفْتَرِقَ، ثُمَّ لَا يُمَيِّزُ أَحَدٌ مِنَ الْأَشْقَاءِ  
أَخَاهُ، إِذَا رَأَهُ. وَإِنَّ أُمَّ الْعَنَاكِبِ — إِذَا ارْتَحَلَتْ مِنْ بَيْتِهَا — وَضَعَتْ بَيْنَ صَفْحَتَيْهَا فِي كَيْسٍ تَنْسُجُهُ  
مِنْ خُيُوطِهَا، ثُمَّ تَحْمِلُهُ — فِي حَدَرٍ وَعِنَايَةٍ نَادِرَيْنِ — وَتُدَافِعُ عَنْهُ بِفَاعِ الْمُسْتَمِيَةِ. فَإِذَا  
فُقِسَ الْبَيْضُ حَمَلَتْ صِغَارَهَا عَلَى ظَهْرِهَا؛ حَتَّى إِذَا كَبُرُوا تَرَكَتْهُمْ، فَإِذَا رَأَتْ وَاحِدًا مِنْهُمْ  
— بَعْدَ ذَلِكَ — لَمْ تَعُدْ تُمَيِّزُهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا تَتَرَدَّدُ فِي افْتِرَاسِهِ، إِذَا لَقِيَتْهُ فِي الطَّرِيقِ لِتَتَعَدَّى  
بِهِ! وَلَوْلَا ذَلِكَ لَزَادَ عَدُونَا زِيَادَةً عَظِيمَةً!»

فَقَالَ لَهَا «صَفَاءً»، وَقَدْ اسْتَوَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ وَالْحَيْرَةُ مِمَّا سَمِعَ:

قَدْ تَأْكُلُ الْعَنْكَبَةُ الْجُنْدَبَا وَتُهْلِكُ الزُّنْبَارَ وَالْعَقْرَبَا  
وَكَمْ بَعُوضٍ — فِي حِبَالِهَا — رَاحَ أُسِيرًا، يَبْتَغِي مَهْرَبَا

## العَنْكَبُ الحَزِين

فَخَدَّرَتْ - بِالسَّمِّ - أَعْصَابَهُ،  
وَقَدْ يَصِيدُ الضَّفِيرُ العَنْكَبَا،  
وَتَأْكُلُ القِطْطَةُ فَأَرًا، وَلَا  
وَقَدْ أَلْفْنَا كُلَّ هَذَا، فَلَمْ  
لَكِنَّ مَا حَيَّرَ أَلْبَابَنَا،  
وَأَنْشَبَتْ - فِي جِسْمِهِ - المِخْلَبَا  
كَمَا تَصِيدُ البُومَةُ الأَرْنَبا  
تُبْقِي عَلَى فَرْخِ صَغِيرِ حَبَا  
نَدَهَشَ لَهُ، مَهْمَا بَدَا مُغْرِبَا  
أَنْ تَأْكُلَ العَنْكَبَةُ العَنْكَبَا.

فَأَجَابَتْهُ «أُمَّ قَشَعَمِ»:

إِنَّ تَأْكُلِ العَنْكَبَةُ العَنْكَبَا  
أَوْ تَأْكُلِ الآبَاءُ أبنَاءَهَا  
أَوْ تَأْكُلِ الزَّوْجَاتُ أَزْوَاجَهَا،  
أَمَا تَرَى الأَسْمَاكَ قَدْ شَابَهَتْ  
تَلْتَهُمُ الكُبْرَى صَغِيرَاتِهَا،  
وَأَنْتُمْ النَّاسُ - عَلَى رُشْدِكُمْ -  
لَمْ تَرْحَمُوا طَيْرًا - عَلَى غُصْنِهِ -  
وَلَمْ تُغِيثُوا بَائِسًا مُعْدِمًا  
وَكَمْ أَكَلْتُمْ لَحْمَ إِخْوَانِكُمْ  
فَلَا تَعِيبُونَا - بِأَدْوَانِكُمْ -  
أَوْ تَأْكُلِ الأُمُّ ابْنَهَا الأَنْجَبَا  
أَوْ تَأْكُلِ الأَخْتُ أَخًا أَوْ أَبَا  
فَلَيْسَ هَذَا حَادِثًا مُغْرِبَا  
- فِي قَتْلِ مَا تُنَجِبُهُ - العَنْكَبَا؟  
وَيَأْكُلُ الحُوتُ ابْنَهُ الأَقْرَبَا!  
صِرْتُمْ لأمثال الأذى مَضْرِبَا  
رَتَّلَ لَحْنًا شَائِقًا مُعْجِبَا  
وَلَمْ تُقِيلُوا عَائِرًا مُذْنَبَا  
مَيْتًا، وَلَمْ تَرْعَوْهُمْ غَيْبَا  
فَقَدْ عَدَا مَنْ عَابَنَا أَعْيَبَا!

## (١١) سِنَاعَةُ الغَيْبَةِ

فَصَاحَتْ «سُعَادُ»، مَدْهُوشَةً: «لَسْتُ أَفْهَمُ مَاذَا تَعْنِينَ - يَا «أُمَّ قَشَعَمِ» - بِقَوْلِكَ: «إِنَّ  
النَّاسَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ إِخْوَانِهِمْ مَيْتًا!» فَإِنِّي لَمْ أَرَ، وَلَمْ أَسْمَعْ، فِي حَيَاتِي كُلِّهَا، أَنْ أَحَدًا مِنَ  
النَّاسِ قَدْ أَكَلَ لَحْمَ أَخِيهِ، أَوْ صَاحِبِهِ، قَطًّا!»

فَضَحِكَ «صَفَاءُ» مِنْ سَدَاجَةِ أُخْتِهِ «سُعَادَ»، وَقَالَ لَهَا: «إِنَّ «أُمَّ قَشَعَمِ» لَا تَعْنِي أَنَّ  
النَّاسَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ إِخْوَانِهِمْ حَقًّا؛ وَلَكِنَّهَا تَعْنِي أَنَّهُمْ يَغْتَابُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَمَنْ اغْتَابَ  
صَاحِبَهُ، فَكَأَنَّهُ قَدْ أَكَلَ لَحْمَهُ مَيْتًا.»

## العَنْكَبُ الحَزِين

فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «أَه! لَقَدْ فَهَمْتُ مَا تَعْنِيهِ «أُمُّ قَشْعَمٍ» الْآنَ. وَلَعَلَّهَا تُشِيرُ إِلَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. فَقَالَ «صَفَاءُ»: «صَدَقْتِ يَا «سُعَادُ». فَإِنَّ «أُمَّ قَشْعَمٍ» لَمْ تَعْنِ إِلَّا مَا فَهَمْتِهِ تَمَامًا. وَلَوْ أَمَعْنَتِ الْفِكْرَ — يَا أُخْتِي — لَرَأَيْتِ أَنَّ مَنْ يَغْتَابُ صَاحِبَهُ، يُحِيلُ إِلَى مَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ يَنْهَشُ لَحْمَهُ، وَلَيْسَ أَصْدَقَ مِنْ هَذَا التَّمْثِيلِ، وَلَا أَدَقَّ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ!»

### (١٢) وَدَاعُ «أُمِّ قَشْعَمٍ»

فَقَالَ «رَشَادُ»: «لَقَدْ تَأَخَّرْنَا عَنْ مَوْعِدِ الْعُودَةِ إِلَى دَارِنَا. وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يَقْلَقَ أَبَوَانَا عَلَيْنَا وَيَنْزِعَا، إِذَا لَمْ نَعُدْ إِلَيْهِمَا تَوًّا.» فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «صَدَقْتَ يَا أُخِي، فَقَدْ شَغَلْنَا جِوَارُ «أُمِّ قَشْعَمٍ» الْمُمْتِعُ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى الْبَيْتِ.»

فَاسْتَأْذَنَ «صَفَاءُ» صَاحِبَتَهُ الْعَنْكَبَةَ فِي الذَّهَابِ، وَوَعَدَهَا بِالْعُودَةِ إِلَيْهَا — بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ — لِلاِسْتِرَادَةِ مِنْ حَدِيثِهَا الشَّهِيِّ فَوَدَّعَتْهُ، شَاكِرَةً لَهُ حُسْنَ تَلَطُّفِهِ، وَمَوْفُورَةً أَدْبِهِ. فَانْشَدَهَا «صَفَاءُ» الْآبِيَاتِ التَّالِيَةَ:

سَلِمَتْ يَا «أُمَّ قَشْعَمٍ»	فَإِنَّ قُرْبِكَ مَعْنَمٌ
أَمْتَعْتِنَا بِحَدِيثٍ،	مِنَ الطَّرَائِفِ مُلْهَمٌ
وَأَنْتِ حَيْرٌ سَمِيرٍ،	وَمُؤْنِسٌ وَمُكَلِّمٌ
وَأَنْتِ حَيْرٌ حَكِيمٍ،	وَأَنْتِ حَيْرٌ مُعَلِّمٌ
وَلَسْتُ أَنْسَاكَ يَوْمًا	مَا عِشْتُ يَا أُمَّ قَشْعَمٍ.

### (١٣) بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ

وَلَمَّا عَادَ الْأَشْقَاءُ الثَّلَاثَةُ وَجَدُوا أَبْوَيْهَهُمْ يَنْتَظِرَانِهِمْ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.

وَمَا كَادَ آبَاؤُهُمْ يَسْأَلَانَهُمْ عَنِ السَّبَبِ فِي تَأْخُرِهِمْ عَنِ مَوْعِدِ الحُضُورِ، حَتَّى أَفْضَوْا إِلَيْهِمَا بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ «أُمِّ قَشْعَمٍ» مِنْ أَحَادِيثِ طَرِيفَةٍ، فابْتَهَجَ «أَبُو صَفَاءٍ» بِمَا سَمِعَ مِنْ بَنِيهِ، وَأَمَرَ «صَفَاءً» أَنْ يُحْضِرَ كِتَابًا بِعَيْنِهِ، فَوْقَ مَكْتَبِهِ.  
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ «صَفَاءً» رَغِبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ أَنْ يَنْظُرَ فِي الصَّفْحَةِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ المِائَةِ، مِنَ الجُزْءِ الثَّانِي، مِنَ الكِتَابِ.

فَقَالَتْ «سُعَادُ»: «أَيُّ كِتَابٍ هَذَا يَا صَفَاءُ؟»

فَأَجَابَهَا أَبُوهَا: «إِنَّهُ كِتَابٌ نَفِيسٌ، اسْمُهُ «دُرُوسُ التَّأَمُّلِ فِي مَشَاهِدِ الطَّبِيعَةِ»، وَأَنَا أَوْصِيكُمْ بِقِرَاءَتِهِ وَدَرَسِهِ.»

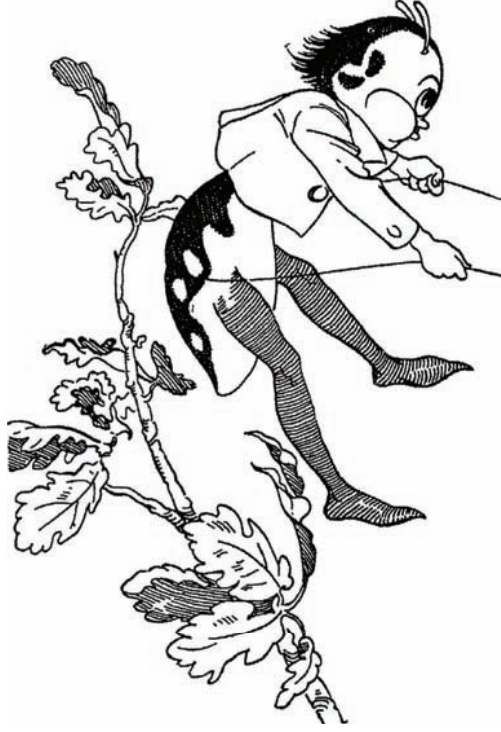
فَانْطَلَقَ «صَفَاءُ» يَقْرَأُ ذَلِكَ الفَصْلَ الرَّائِعَ — وَعُنْوَانُهُ: «بَيْتُ العَنْكَبُوتِ» — بِصَوْتٍ وَاضِحٍ، جَلِيٍّ النَّبْرَاتِ: «تَنْسُجُ العَنْكَبُوتُ — كَعَنْكَبُوتِ الحَدِيدَةِ — بَيْتَهَا فِي ثَنَائِ الأَحْجَارِ، وَبَيْنَ الأَوْرَاقِ والأَعْصَانِ، أَوْ فِي زَوَايا الجُدْرَانِ القَدِيمَةِ أَوْ المَهْجُورَةِ، أَوْ الأَمَاكِنِ القُدْرَةِ. وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ أَجْمَلُ الأَنْسَجَةِ الَّتِي يَنْسُجُهَا حَيوانٌ. وَتَبْتَدِئُ فِي عَمَلِ بَيْتِهَا بِمَدِّ الحُيُوطِ القَوِيَّةِ الرَّئِيسَةِ الأَسَاسِيَّةِ أَوَّلًا. ثُمَّ تُتْبِعُهَا بِحُيُوطِ شُعَاعِيَّةٍ، مِنْ نُقْطَةِ إِلى أُخْرَى، خِلَالَ المَسَافَاتِ المُتَّسِعَةِ، بِحَيْثُ تُتْقَابِلُ كُلُّهَا فِي المَرْكَزِ. ثُمَّ تَمُرُّ بِحُيُوطِ لَطِيفٍ، مُبْتَدِئَةً مِنَ المَرْكَزِ، مَرَّةً بِتِلْكَ الحُيُوطِ بِشَكْلِ لَوْلَبِيٍّ. وَلَا تُقْتَصِرُ عَلَى تَقاطُعِ الحُيُوطِ الشُّعَاعِيَّةِ مَعَ الحُيُوطِ اللُّوَلَبِيِّ، بَلْ تَجْتَهِدُ فِي تَتْبِيبِهَا مَعًا، بِنَقْطِ صَمْغِيَّةٍ مِنَ السَّائِلِ الَّذِي تُفْرِزُهُ. وَبَعْدَ تَمَامِ البَيْتِ تُقَطِّعُ مَرْكَزَهُ، وَتَرْبِطُهُ بِمُخْلِيبِهَا، بِحُيُوطِ طَوِيلٍ، تُسْتَخْدِمُهُ كَأَسْلاكِ البَرْقِ. وَلَهَا مَهَارَةٌ فَائِقَةٌ فِي تَرْتِيبِ حُيُوطِهَا، وَاسْتِخْدَامِهَا فِي المَسَافَاتِ البُعِيدَةِ الوَاسِعَةِ. فَإِنَّهَا تُغْزِلُ حُيُوطًا طَوِيلًا وَتَدْلِيهِ، حَيْثُ تُحْمِلُهُ الرِّيحُ إِلى الغُصْنِ الأَخْرِ، أَوْ الجِدَارِ، مَثَلًا؛ فَيَعْلُقُ بِهِ.

وَتُنْتَمُّ بِنِاءِ بَيْتِهَا فِي نَحْوِ سَاعَةٍ زَمَنِيَّةٍ، ثُمَّ تَأْوِي إِليه لِتَرْقُبَ — عَنِ كَتَبٍ — كُلَّ حَشْرَةٍ تَطُنُّ بِالقُرْبِ مِنْهُ.

## العَنْكَبُ الحَزِين



وَمَا أَسْرَعَ مَا يُوجَدُ الإِضْطِرَابُ وَالْهَيْجَانُ فِي بَيْتِهَا. وَإِذَا بِالْفَرِيْسَةِ الْمُغْفَلَةِ قَدْ وَقَعَتْ  
فِيهِ، ثُمَّ هِيَ تُرِيدُ أَنْ تُحَاوَلَ الْخَلَاصَ مِنْهُ، فَلَا يُجْدِيهَا عَمَلُهَا!



وَالْعَنْكَبُوتُ سَرِيعَةٌ جِدًّا، لِأَنَّهَا سُرْعَانَ مَا تَهْجُمُ عَلَى الْفَرِيسَةِ، وَتَرْمِي بِنَفْسِهَا، قَابِضَةً عَلَيْهَا، فَتَنْشِبُ مَخَالِبَهَا الْقَاسِيَةَ، الَّتِي هِيَ مَحَاقِنُ سَامَّةٌ؛ ثُمَّ تَلْفُهَا فِي خُيُوطِ أُخْرَى، وَتُوَثِّقُهَا وَثَاقًا تَامًّا، فَتُصْبِحُ مَشْدُودَةَ الْأَطْرَافِ، مُهْشَمَةً الْجِسْمِ، مَعْضُوضَةً، مَسْمُومَةً، وَحِينَئِذٍ تَجْرُهَا إِلَى عَرِينِهَا، عَلَامَةً عَلَى انْتِصَارِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَبْتَلِعَهَا مِنْ فَوْرِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَتْرُكَهَا مُكَبَّلَةً فِي أَغْلَالِهَا الْحَرِيرِيَّةِ، دُخْرًا لِمَادِبَةِ أُخْرَى.»

#### (١٤) قِصَّةُ الْعَنْكَبِ الْحَزِينِ

وَلَمَّا انْتَهَى «صَفَاءٌ» مِنْ قِرَاءَةِ هَذَا الْفَصْلِ الْمُمْتَعِ أُعْجِبَ أَخَوَاهُ بِدَقَّةِ مَا يَحْوِيهِ مِنْ بَرَاعَةِ الْوَصْفِ، وَحُسْنِ الْأَدَاءِ.

فَقَالَ «أَبُو صَفَاءٍ»: «لَقَدْ ذَكَرْتُ قِصَّةَ فُكَاهِيَّةٍ، قَرَأْتُهَا — مُنْذُ أَعْوَامٍ — فِي كِتَابٍ عِلْمِيٍّ، جَلِيلِ الْقَدْرِ، عُنْوَانُهُ: «فُصُولُ فِي التَّارِيخِ الطَّبِيعِيِّ»، وَلَمْ أُنْسَ رُوعَةَ هَذِهِ الْقِصَّةِ إِلَى الْيَوْمِ. وَلَعَلِّي قَدْ أَحْضَرْتُ مَعِيَ هَذَا السَّفَرَ النَّفِيسَ — فِي جُمْلَةٍ مَا أَحْضَرْتُهُ مِنَ الْكُتُبِ قُبَيْلَ سَفَرِي — فَمَا أَحْسَبُنِي نَسِيْتُهُ.»

ثُمَّ أَسْرَعَ «أَبُو صَفَاءٍ» إِلَى مَكْتَبَتِهِ الْحَافِلَةِ، وَأَلْقَى عَلَيْهَا نَظْرَةً وَاحِدَةً: فَرَأَى الْكِتَابَ فِي مَكَانِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ. وَمَا إِنْ أَخْرَجَهُ مِنْ بَيْنِ الْكُتُبِ، حَتَّى أَبْصَرَ وَرَقَةً بِيضَاءَ فِي ثَنَائِهَا صَحَائِفِهِ، وَكَانَ قَدْ وَضَعَهَا أَمَامَ الصَّفْحَةِ الْأُولَى بَعْدَ السَّتِينِ وَالْمِائَتَيْنِ، لِتَذَكَّرُهُ بِمَوْضِعِ الْقِصَّةِ الْمُعْجِبَةِ: «قِصَّةُ الْعُكَّاشِ» — ذَلِكَ الْعَنْكَبُ الْحَزِينِ — مِنَ الْكِتَابِ.

فَالْتَفَتَ «أَبُو صَفَاءٍ» إِلَى بَنِيهِ قَائِلًا: «لَقَدْ قَرَأْتُ قِصَّةَ «أَبِي حَيْثَمَةَ» أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ مَرَّةً، فَلَمْ تَبَلِّ جِدْنَهَا، وَلَمْ تَخْلُقْ بِهَجْنِهَا وَسِحْرِهَا، وَأَنَا أُوصِيكُمْ — أَيُّهَا النُّجَبَاءُ — أَنْ تُنْعَمُوا النَّظَرَ فِي دَقَائِقِهَا، بَعْدَ أَنْ يَتْلَوْهَا عَلَيْنَا صَفَاءٌ.»

فَأَخَذَ «صَفَاءٌ» الْكِتَابَ — بِيَمِينِهِ — وَقَرَأَ عَلَى إِخْوَتِهِ مَا يَأْتِي:

### (١٥) حَقِيقَةُ فِي فُكَاهِيَّةٍ

«دَخَلْتُ غَابَةً بِاسِقَةَ الْأَشْجَارِ، يَجْرِي فِيهَا نَهْرٌ مُتَعَرِّجٌ. فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ شَاهَدْتُ عَلَى إِحْدَى صِفْتَيْهِ عَنكَبًا، أَسْمَرَ اللَّوْنِ، جَالِسًا عَلَى حَجَرٍ، يُنْظِفُ وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ، كَمَا يَفْعَلُ الذُّبَابُ. وَهُوَ نَحِيفٌ، خَائِرُ الْقُوَى. فَرَأَيْتُ أَنْ أَفْضَلَ مَا أَفْتَحُ بِهِ الْحَدِيثَ مَعَهُ، السُّؤَالَ عَنِ صِحَّتِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: «أَرَاكَ مُنْحَرَفَ الْمَزَاجِ، فَمَا يُؤَلِّمُكَ؟»

فَقَالَ: «إِنِّي مَرِيضٌ، وَخَائِفٌ، وَقَلِقٌ.»

فَقُلْتُ: «مَا الْخَبْرُ؟ وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي قَطُّ أَنْ عَنكَبًا مِثْلَكَ يَمْرُضُ وَيَخَافُ، وَقَدْ خُصِصَتْ بِقُوَّةٍ لَمْ يُخْصَّ بِهَا سِوَاكَ!»

فَقَالَ الْعَنْكَبُ: «وَهَذِهِ إِحْدَى الْبَلِيَّتَيْنِ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَطْنُونَ الظُّنُونَ، وَيَسْتَنْجُونَ النَّتَائِجَ، مِنْ مُقَدِّمَاتٍ فَاسِدَةٍ لَا تُنْتِجُ شَيْئًا. وَلِذَلِكَ فَإِنِّي أَطُنُّ أَنْ قِصَّتِي تَفْتَحُ عَيْنَيْكَ، فَتَرَى الْأُمُورَ عَلَى حَقِيقَتِهَا. أَتَعْلَمُ أَنَّنَا — مَعْشَرَ الْعِنَاكِبِ — مِنْ أَكْثَرِ الْمَخْلُوقَاتِ اجْتِهَادًا، وَأَوْسَعِهِمْ حِيلَةً؟ فَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ بِعَيْرِ جَنَاحٍ. نَعَمْ، إِنَّ الْحَفَافِيشَ تَطِيرُ،



وَلَا جَنَاحَ لَهَا. وَلَكِنَّ بَيْنَ قَوَائِمِهَا وَظَهْرِهَا أَغْشِيَةٌ. وَمَعَ جِرْمَانِنَا تِلْكَ الْأَغْشِيَّةَ تَمَكَّنَّا مِنْ رُكُوبِ الْهَوَاءِ، وَلَمْ يُشَارِكُنَا فِي ذَلِكَ إِلَّا الْإِنْسَانُ. لَكِنَّا سَبَقْنَاهُ بِقُرُونٍ كَثِيرَةٍ. قُلْ لِي: مَتَى اسْتَطَاعَ قَوْمُكَ الطَّيْرَانَ؟»

فَقُلْتُ: «فِي الْعَامِ السَّابِعِ بَعْدَ التَّسْعِمَائَةِ وَالْأَلْفِ.»

فَقَالَ: «هَكَذَا ظَنَنْتُ. أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ رَكِبْنَا الْهَوَاءَ، قَبْلَ عَصْرِ الْعُمَرَانِ! وَإِلَيْكَ شَرَحَ

قِصَّتِي:

حَدَّثَ — مُنْذُ سَنَتَيْنِ — أَنَّ أُمَّي كَانَتْ جَالِسَةً فِي عُقْرِ بَيْتِهَا، فَأَتَاهَا الطَّلُقُ، وَجَعَلَتْ تَبِيضُ بَيْضِهَا، وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى، وَظَلَّتْ تَبِيضُ إِلَى أَنْ بَلَغَ عَدْدُ مَا بَاضَتْهُ — فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ — ثَلَاثِمِائَةَ بَيْضَةٍ. وَخَافَتْ أَنْ تَتَفَرَّقَ الْبَيْوُضُ، فَلَا يَعُودَ لَهَا سَبِيلٌ إِلَيْهَا؛ فَجَعَلَتْ تَغْرِزُ الْخُيُوطَ مِنْ مَغَارِزِلِهَا؛ وَهِيَ سِتُّ أَنْبَابٍ فِي ذَنْبِهَا، تُفْرِزُ الْخُيُوطَ الْحَرِيرِيَّةَ الدَّقِيقَةَ، الَّتِي تُسْمُونَهَا: نَسِيجَ الْعَنْكَبُوتِ، وَتَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْوَهْنِ لِدِقَّتِهَا. وَهِيَ — لَوْ جُمِعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ — لَصَارَتْ أُمَّتَنْ مِنْ أَسْلَاقِ الْحَدِيدِ! فَأَفْرَزَتْ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْخُيُوطِ، وَلَقَّتْ بَيْضَهَا بِهَا، وَكَرَّرَتْ لَفَّهُ، حَتَّى صَارَتْ الْبَيْوُضُ كُلُّهَا كُرَّةً كَبِيرَةً تُحِيطُ بِهَا خُيُوطٌ صَفْرُ، كَالزَّرْعِ الْوَاهِي، أَوْ كَرِبِشِ النَّعَامِ. وَلَمَّا تَمَّ لَهَا ذَلِكَ، حَمَلَتْ هَذِهِ الْكُرَّةَ بَيْنَ فِكَيْهَا، وَخَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا قَاصِدَةً أَنْ تَصْعَدَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ عَالٍ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَاءُ النَّهْرِ إِذَا فَاضَ فِي الشِّتَاءِ. وَبَعْدَ تَعَبٍ كَبِيرٍ، وَجَهْدٍ عَنيفٍ، وَصَلَتْ إِلَى الْمَكَانِ الْعَالِي، وَوَضَعَتْ بَيْوُضَهَا فِي ثَقْبٍ غَائِبٍ بَيْنَ الصُّخُورِ، ثُمَّ عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا عَلَى ضِغْفَةِ النَّهْرِ.

وَلَوْ رَأَى — أَنَا وَأَخَوَاتِي — أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَالْأَيَّامِ التَّالِيَةِ، لظَنَّنا بُرُورًا دَقِيقَةً، اجْتَمَعَ عَلَيْهَا زَعْبُ الْحَرِيرِ. وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَرْتَحْ بِأَلْنَا دَقِيقَةً مِنَ الْخَطَرِ؛ فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ زَارَنَا طَائِرٌ: قَبِيحُ الْمَخْبَرِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَبِيحَ الْمَنْظَرِ، مُبْرَقَشٌ بِالزَّرْقَةِ وَالصَّفْرَةِ، لَكِي يُخْفِي شِرَاسَةَ أَخْلَاقِهِ. وَجَعَلَ يَفْتَشُ بَيْنَ الشَّقُوقِ وَالنَّخَارِيبِ، وَيَسْتَخْرِجُ الدِّيدَانَ وَالْحَشْرَاتِ مِنْهَا، وَيَأْكُلُهَا. وَلِحَسَنِ حَظِّنَا، كَانَتْ أُمَّنَا قَدْ أَخَفَّتْنَا فِي نُقْرَةٍ عَمِيقَةٍ؛ فَلَمْ يَهْتَدِ إِلَيْنَا. وَمَرَّ بِنَا فَصَلُّ الشِّتَاءِ وَنَحْنُ بَيْضُ، ثُمَّ خَرَجْنَا مِنْ بَيْوُضِنَا، فِي الرَّبِيعِ، وَلَمْ نَخْرُجْ مِنْهَا دِيدَانًا، بَلْ خَرَجْنَا عَنَّاكَبَ دَفْعَةً وَاحِدَةً. وَهَذَا أَمْرٌ يَسْتَرْعِي الْإِنْتِبَاهَ؛ فَإِنَّ الْفَرَّاشَ وَالنَّحْلَ، وَالْخَنَافِسَ، تَخْرُجُ كُلُّهَا دِيدَانًا صَغِيرَةً، ثُمَّ تَمُرُّ بِأَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ، حَتَّى تَبْلُغَ دَرَجَةَ كَمَالِ

النُّمُو. أَمَا نَحْنُ فَمُمَّتَارُونَ عَلَيْهَا كُلُّهَا: لِأَنَّنا نَخْرُجُ مِنَ البَيْضِ عَنَّاكَبَ كَامِلَةً، كَمَا يَخْرُجُ أَصْدِقَاؤُنَا الجَنَادِبُ. خَرَجْنَا مِنْ بِيُوضِنَا، وَلَكِنَّا كُنَّا صِغَارًا كَرُءُوسِ الدَّبَابِيسِ. وَلَمَّا خَرَجْنَا لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَرَى الْأَشْيَاءَ وَاضِحَةً، لِأَنَّنا كُنَّا مُحَاطَاتٍ بِأَعْشِيَةِ دَقِيقَةٍ، صِيَانَةٌ لَنَا كَمَا تُصَانُ اللَّالِيُّ فِي أَصْدَافِهَا!

وَلَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ مَرَّقَ كَيْسَهُ، وَخَرَجَ مِنْهُ. فَلَمَّا انْجَلَّتْ عَيْنَايَ زَهَلْتُ عَنْ نَفْسِي، بِمَا رَأَيْتُهُ حَوَلي مِنَ اتِّسَاعِ الوَادِي الَّذِي وَجِدْتُ فِيهِ، وَكَبَّرَ كُلُّ مَا حَوَلي بِالنَّسْبَةِ إِلَيَّ؛ فَكُنْتُ أَرَى النَّبْتَةَ الصَّغِيرَةَ فَأَحْسَبُهَا شَجَرَةً كَبِيرَةً. لَكِنِّي سُرْعَانَ مَا شَغِلْتُ عَنْ ذَلِكَ، بِمَا رَأَيْتُهُ حَوَلي مِنْ كَثْرَةِ أَحْوَاتِي اللُّوَاتِي خَرَجْنَ مِنْ بِيُوضِهِنَّ مِنِّي. وَبَيْنَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ سَمِعْتُ صَوْتًا يُخَاطِبُنَا، بِلَهْجَةِ الأَمْرِ النَّاهِي؛ فَالْتَفَتُّ، وَإِذَا المُتَكَلِّمُ: عَنكَبَةٌ كَبِيرَةٌ جَالِسَةٌ فِي بَابِ بَيْتِهَا، وَهِيَ أَمَامَنَا فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهَا؛ فَقَصَّتْ عَلَيْنَا حَبْرَ مَا أَصَابَهَا مِنَ العَنَاءِ بِسَبَبِنَا. أَمَا أَنَا فَلَمْ يُذْهِلْنِي حَبْرُهَا، قَدَرَ مَا أَذْهِلْنِي شَيْءٌ رَأَيْتُهُ تَحْتَهَا، كَأَنَّهُ عَنكَبٌ مَيِّتٌ.

فَلَمَّا أَتَمَّتْ حَدِيثَهَا، قُلْتُ لَهَا: «ما هذا الَّذِي أَرَاهُ تَحْتَ أَقْدَامِكَ يَا أُمَّاهُ؟»

فَقَالَتْ: «هذا أَبُوكَ يَا وَلَدِي!»

فَقُلْتُ: «إِنِّي أَرَاهُ مَيِّتًا، لا حَرَكَ بِهِ!»

فَتَبَسَّمتْ، وَقَالَتْ: «نَعَمْ، هُوَ مَيِّتٌ. فَقَدْ انْقَضَتْ أَيَّامُ السُّرُورِ، وَلَمْ يُعِدْ لِي بِهِ أَرْبٌ؛ فَقَتَلْتُهُ، وَمَصَّصْتُ دَمَهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا جِلْدُهُ، وَسَأَجْعَلُهُ فِرَاشًا لِي، وَهُوَ فِرَاشٌ وَثِيرٌ فِي لَيْلَةٍ نَدِيَّةٍ مِثْلَ هَذِهِ!»

فَقُلْتُ لَهَا: «هَلْ أَتَزَوَّجُ مِنْكَ كَبْرَتُ، وَأَكُلُ زَوْجِي؟»

فَقَالَتْ: «لا. لِأَنَّكَ أَنْتَ ذَكَرٌ يَا وَلَدِي وَسَتَأْكُلُكَ زَوْجَتُكَ، كَمَا أَكَلْتُ أَنَا أَبَاكَ وَلا تَدُنْ مِنِّي الآنَ؛ لِأَنِّي أَحْيَانًا أَكُلُّ أَوْلَادِي أَيْضًا.»

هذا أَوَّلُ نَبَأٍ سَمِعْتُهُ فِي حَيَاتِي، فَمَا أَتَعَسَ هَذِهِ الحَيَاةُ! هَلْ تَتَّصُورُ حَيَاةً أَتَعَسَ مِنْهَا؟  
فَقُلْتُ لَهُ، بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ أَنَّهُ عَنكَبٌ لا عَنكَبَةٌ: «الآنَ عَرَفْتُ: لِمَاذَا أَنْتَ خَائِفٌ، كَاسِفٌ البَالُ!»

فَقَالَ: «أَلَا تُرِيدُ أَنْ تَسْمَعَ تَتَمَّةَ قِصَّتِي؟»

فَقُلْتُ: «بَلَى: هَاتِ مَا عِنْدَكَ.»

فَقَالَ: «حِينَما أَنْبَأْتَنَا أُمِّي أَنَّها تَأْكُلُ أَوْلادَها أَطْلَقْتُ أَرْجُلِي لِلرِّيحِ، وَهَرَبْتُ مِنْ وَجْهِها نازِلًا نَحْوَ النَّهْرِ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلى ماثِيهِ، فَوَجَدْتُ أَنَّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْشِيَ عَلى المَءِ، كَما أَمْشِي عَلى اليَاسِةِ، فَسَرَرْتُ بِذَلكَ جِداً.»  
فَقُلْتُ لَهُ: «هذا أَمْرٌ لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُهُ.»

فَقَالَ: «إِنَّكَ لا تَعْلَمُ مِقْدارَ ما نَسْتَطِيعُهُ، إِذا اضْطُرَرْنَا إِليهِ. نَعَمْ، لَيْسَ كُلُّ العِناكِبِ يَسْتَطِيعُ ذَلكَ، وَلَكِنَّ بَعْضَها يَسْتَطِيعُهُ، وَأَنا مِنْهُم. وَمِنْ أَنْسَابِنا نَوْعٌ يَعْصُ في المَءِ، وَيَسْكُنُ في فِقااعَةٍ مِنَ الهِواءِ، وَنَوْعٌ يَثْبُ عَلى الأَرْضِ، مِثْلُ القَنْعَرِ. ولا غِرابَةٍ في مَشِينا عَلى المَءِ، فَإِنَّ بَيْنَنا وَبَيْنَ السَّراطِينِ نَسَباً وَإِنْ كانَ بَعِيداً.»  
فَقُلْتُ لَهُ: «أَصَبْتَ، فَإِنَّكَ تُشَبِّهُ السَّرطانَ في شَكْلِكَ.»

فَقَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنَّ السَّرطانَ لا يَكْتَفِي بِثِمانِي أَرْجُلٍ مِثْلَنا، بَلْ لَهُ عَشْرُ أَرْجُلٍ. ولِماذا تَقطَعُ عَلى الحَدِيثِ؟ دَعِنِي أُتِمِّمَ قِصَّتِي: لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّي أَمْشِي عَلى وَجْهِ المَءِ بادَرْتُ إِلى أَقْرَبِ قِصْبَةٍ، وَأَحَدْتُ أَنْسُجَ بَينَنا لِنَفْسِي، لِكَي أَجْعَلَهُ مَصِيدَةً لِلذُّبابِ. وَقَبْلَ أَنْ أُيَمِّهُ مَشِيْتُ عَلى قِصْبَةٍ، فَوَجَدْتُ عَلَينا حِشْرَاتٍ صَغِيرَةً، حُضْراً، خالِيَةً مِنَ الأَجْنِحَةِ، فَقبَضْتُ عَلى واحِدَةٍ مِنْها، وَالنَّهْمَتُها، فَاسْتَطَعْتُها. فَجَعَلْتُ النِّهْمَ الواحِدَةَ بَعْدَ الأُخْرى، حَتَّى انْتَفَخَتْ بَطْنِي، وَسَعَرْتُ كَأَنَّهُ كادَ يَنْشَقُّ.»

فَقُلْتُ لَهُ: «كَيْفَ كُنْتَ تَلْتَهُمُها؟ أَكُنْتَ تَبْلَعُها بُلْعاً؟»

فَقَالَ: «كَلَّا! بَلْ كُنْتُ أَشَقُّ ظَهْرَها مِنْ بَينِ كَتِفَيْها، وَأَمْتَصُّ دَمَها، فلا أُبْقِي في جِسمِها شَيْئاً غَيرَ جِلْدِها. وَلَمَّا شَبِعْتُ عُدْتُ إِلى بِناءِ بَيتِي، فَاتَمَمْتُها. وَجَلَسْتُ أَتَرَقَّبُ وَفُوعَ الذُّبابِ، فَوَقَعَ فِيهِ ذُبَابٌ كَثِيرٌ. فَأَكَلْتُ وَسَمِنْتُ جِداً، حَتَّى كُنْتُ اضْطُرُّ إِلى أَنْ أَخلَعَ جِلْدِي مِراةً، لِأَنَّه لَمْ يَكُنْ يَسْعُنِي. وَكَثيراً ما كانَتْ تَنقُطِعُ يَدٌ أَوْ رِجْلٌ مِنِّي، وَقَتَ خَلَعِهِ.»  
فَقُلْتُ: «كَيْفَ ذَلكَ؟ أَوْ لَمْ يَكُنْ قَطَعُها مُؤَلِماً؟»

فَقَالَ: «بَلَى، كُنْتُ أَتَأَلَّمُ قَلِيلاً؛ لِأَنَّنا — نَحْنُ العِناكِبَ — لا نَتَأَلَّمُ مِثْلَكُم، ولا مِثْلَ الدَّيدانِ؛ فَإِذا انقَطَعَتْ رِجْلٌ مِنْ أَرْجُلِنا نَبَتَتْ لَنا رِجْلٌ أُخْرى بَدَلاً مِنْها ... وَقَدِ قَطَعَتْ اثْنَتانِ مِنْ أَرْجُلِي، فَنَبَتَ لِي غَيرُهُما. ولا داعِي لِلإِطالَةِ في تارِيخِ حَياتِي عِنْدَ ذَلكَ النَّهْرِ؛ فَادْعُهُ، وَأَقصُّ عَليكَ قِصَّةَ غَيرَتِ مَجْرى أُمُورِي: كُنْتُ — ذاتَ يَومٍ — جالِساً في بَيتِي، أَتَرَدَّدُ عَلى بابِهِ، داخِلاً خارِجاً، لَعَلِّي أَلْفَتُ إِلى ذُبَابَةٍ كَبيْرَةٍ كانَتْ واقِفَةً عَلى قِصْبَةٍ أَمامِي.»

وَبَيْنَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَأَتَأَمَّلُ جَنَاحَيْهَا: إِذَا بِالْجَنَاحَيْنِ سَقَطَا عَنْ بَدَنِهَا بَعْنَةً. وَإِذَا بَتَلَكَ الذُّبَابَةَ قَدْ صَارَتْ — بَعْدَ وُقُوعِ جَنَاحَيْهَا — نَمَلَةً كَبِيرَةً، كَأَقْبَحِ مَا يَكُونُ النَّمْلُ.»

فَقُلْتُ لَهُ: «أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَلَكَاتِ النَّمْلِ، يَزِمِينَ أَجْنَحَهُنَّ بَعْدَ زَوَاجِهِنَّ؟»

فَقَالَ: «كَلَّا، لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ ذَلِكَ. فَوَقَفْتُ مَدْهُوْشًا. وَقَبْلَ أَنْ أَفِيقَ مِنْ دَهْشَتِي، جَعَلَتِ النَّمَلَةُ تُتَاجِي نَفْسَهَا، وَتَقُولُ: «هَلَا، هَلَا. لَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَ أَنَّ جَنَاحِي يَسْقُطَانِ الْيَوْمَ، فَلَا أَبْقَى هُنَا فَوْقَ الْمَاءِ. وَلَوْلَا هَذَا الْقَصَبُ الَّذِي يُوصِلُنِي إِلَى الْبَرِّ، لَقَضِي عَلَيَّ مَا هَذَا الَّذِي أُمَامِي؟ هَذَا عَنكَبٌ، إِذَنْ أَخَذَهُ إِلَى قَرِيَّتِي وَأَكَلَهُ عَلَى مَهَلٍ!»

وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا حَاقَ بِي حِينِيذٍ. فَرَمَيْتُ بِنَفْسِي مِنْ بَيْتِي إِلَى الْمَاءِ، وَأَخَذْتُ أُسْبِحُ جُهْدِي، وَلَمْ أَبْعُدْ إِلَّا حُطَى قَلِيلَةً، حَتَّى رَأَيْتُ حَرَكَةً عَنِيفَةً فِي الْمَاءِ، فَالْتَفَتُّ، وَإِذَا بِخُنْفَسَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ خَنَافِسِ الْمَاءِ، وَقَدْ رَفَعَتْ زُبَانِيَّهَا، وَجَدَّتْ فِي أَنْفِرِي سِبَاحَةً. وَنَظَرْتُ أُمَامِي أُرِيدُ الْهَرَبَ، وَإِذَا بِي أَرَى دُودَةً كَبِيرَةً مِنَ الدُّودِ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنْهُ زُبُورُ التَّنَّيْنِ، وَعَيْنَاهَا كَمِصْبَاحَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ، سَدَّتْ فِي وَجْهِ مَسَالِكِ الْمَاءِ وَالْيَابِسَةِ. وَلَمْ يَبْقَ أُمَامِي إِلَّا الْهُوَاءُ، فَوَثِقْتُ إِلَى وَرَقَةٍ مِنْ وَرَقِ زَنْبِقِ الْمَاءِ. وَلَجَأْتُ إِلَى سَلِيْقَةِ أُسْلَافِي، وَأَفْرَزْتُ مِنْ مَغَارِزِي السِّتَّةَ — الَّتِي فِي ذَنْبِي — سِتَّةَ خُبُوطِ حَرِيرِيَّةٍ دَقِيقَةٍ، فَاتَّحَدْتُ مَعًا، وَطَارْتُ فِي الْهُوَاءِ: خَيْطًا وَاحِدًا، بَرَاقًا كَالْبَلُورِ؛ فَتَشَبَّهْتُ بِهِ، وَطَرْتُ فِي مَجَارِي الرِّيحِ الَّتِي كَانَتْ تَمُدُّهَا حَرَارَةُ الشَّمْسِ، وَتُرْسِلُ بِهَا صُعْدًا. ثُمَّ عَبَثَ بِي النَّسِيمُ، فَحَمَلَنِي إِلَى حَرَجَةِ (أَشْجَارٍ مُجْتَمِعَةٍ) مِنَ الصَّنَوْبَرِ، وَسَارَ بِي فَوْقَهَا، وَفَوْقَ السُّهُولِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا. وَقَدْ رَأَيْتُ فِي طَرِيقِي كَثِيرَاتٍ مِنْ أَحْوَاتِي، رَاكِبَاتٍ مَنَاطِيْدَهَا، وَهِيَ سَائِرَاتٌ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. وَلِكِنِّي رَأَيْتُ طُيُورًا صَغِيرَةً مِنَ النُّوعِ الْمَعْرُوفِ بِالْخُطَّافِ، تَنْقُضُ عَلَيْهَا وَتَخَطِّفُهَا. فَقُلْتُ: «وَيْلَاهُ! حَتَّى فِي الْهُوَاءِ لَا نَسْلَمُ مِنَ الْأَعْدَاءِ؟ وَمَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ لَمْ يَجِدْهَا، وَلَوْ اتَّخَذَ لَهُ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ.» فَاطَّلْتُ حَيْطِي، وَجَعَلْتُ أَهْبِطُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا إِلَى أَنْ وَقَعْتُ عَلَى بَعْضِ الْهَشِيمِ. وَلَمْ أَكُذْ أَصِلْ إِلَيْهِ، حَتَّى رَأَيْتُ زَنْبَارًا — كَالتَّنَّيْنِ — وَاقِفًا فِي انْتِظَارِي. وَنَحْنُ الْعِنَاكِبُ لَا نَخَافُ مِنَ الزَنْبَابِ، إِذَا كُنَّا فِي بِيوتِنَا، بَلْ نَحْتَالُ عَلَيْهَا، وَنَسْجُ حَوْلَهَا حُيُوتَنَا، حَتَّى نَمْنَعَهَا مِنَ الْحَرَكَةِ. ثُمَّ نَمُصُّ دَمَهَا — وَهِيَ كَبِيرَةٌ، كَثِيرَةُ الْغِذَاءِ — فَنَقْتَاتُ بِهَا

## العنكبُ الحزين

أَيَّامًا. وَأَمَّا إِذَا رَأَتْنا خَارِجَ بُيُوتِنَا فَإِنَّهَا تَنْتَقِمُ مِنَّا. فِيهَجُمُ الزَّنْبَارُ عَلَى الْعَنْكَبَةِ، وَيَقْبِضُ عَلَيْهَا بِفَكِّهِ، وَيَحْمِلُهَا إِلَى بَيْتِهِ وَيَأْكُلُهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً.

وَلَمْ تَحْنِي الْحِيلَةُ، فَقَطَعْتُ حَيْطِي، وَارْتَمَيْتُ فِي الْهَشِيمِ كَقِطْعَةٍ مِنَ الْحَجَرِ. فَوَصَلْتُ إِلَى أَسْفَلِهِ، وَقَدْ سَلَّ الْحَوْفُ أَعْصَابِي.

وَأَبْرَقَتِ السَّمَاءُ وَأَرْعَدَتْ — فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ — وَسَقَطَ بَرْدٌ كَثِيرٌ. وَقُمْتُ — فِي الصَّبَاحِ: وَإِذَا الرِّيحُ تَهَبُّ بَارِدَةً، وَالسَّمَاءُ مُعْطَاةٌ بِالسُّحُبِ. فَصَغَرْتُ نَفْسِي فِي عَيْنِي، وَشَعَرْتُ بِوَحْدَةٍ وَوَحْشَةٍ. فَصَعِدْتُ إِلَى رَأْسِ الشَّجَرَةِ الَّتِي كُنْتُ فِيهَا، وَأَفْرَزْتُ الْخُيُوطَ مِنْ مَغَازِلِي، وَصَعِدْتُ بِهَا إِلَى الْجَوِّ، فَسَاقَنِي الرِّيحُ، وَرَمَتْنِي عَلَى ضِفَةِ النَّهْرِ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي قَضَيْتُ فِيهِ زَهْرَةَ صَبَايَ. وَاعْتَدَلَ الْهَوَاءُ — حِينَيْدٍ — وَكُنْتُ قَدْ بَلَغْتُ أُشْدِي، فَتَاقَتِ نَفْسِي إِلَى رُوجَةٍ تَكُونُ مَعِي.

وَقُلْتُ لِنَفْسِي: «مَا لَكَ وَاللُّرُوجَةَ؟ وَأَنْتِ تَعْلَمِينَ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ مَعَهَا؟»

فَقَالَتْ لِي: «مَا الْعَمَلُ، وَالْمَقْدُورُ قَهَّارٌ؟!»

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ «الْعَنْكَبُ»، قَائِلًا: «وَقَضَيْنَا شَهْرَ الْعَسَلِ ... وَالآنَ حَمُّ الْقَضَاءِ!»

وَكَانَ يَقُولُ ذَلِكَ وَهُوَ يَنْظُرُ — يَمَنَةً وَيَسْرَةً — كَالْمُسْتَجِيرِ الْخَائِفِ مِنْ خَطَرِ يُوْشِكُ

أَنْ يَدْهَمَهُ!

## (١٦) مَصْرَعُ الْعَنْكَبِ الْحَزِينِ

وَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ — وَأَعْضَاؤُهُ تَرْتَجِفُ خَوْفًا، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَدْهُوشًا — إِذْ خَرَجَتْ عَنكَبَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْغَارِ، وَوَثِبَتْ عَلَيْهِ فَحَاوَلَتْ دَفْعَهَا عَنْهُ، وَلَكِنَّهَا أَمْسَكَتْ بِهِ، وَخَطِفَتْ أَنْفَاسَهُ.

وَفِي أَقْلٍ مِنْ خَمْسِ دَقَائِقَ تَرَكَتَهُ جَلْدًا خَاوِيًا! ...»

## الْخَاتِمَةُ

وَلَمَّا انْتَهَى «صَفَاءُ» مِنْ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْمَأسَةِ، حَزَنَ «صَفَاءُ» وَأَسْرَتُهُ لِمَصْرَعِ الْعَنْكَبِ التَّاعِسِ، وَتَأَلَّمُوا لِخَاتِمَتِهِ الْمُفْرَعَةِ.

## العَنْكَبُ الحَزِين

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ مُتَعاقِبَةً، وَلَكِنَّ الْأُسْرَةَ لَمْ تَنْسَ هَذِهِ الْقِصَّةَ الرَّائِعَةَ، الَّتِي مَلَكَتْ  
نُفُوسَهُمْ، وَسَحَرَتْ أَلْبَابَهُمْ، وَكَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ آفَاقٍ كَانَتْ مَسْتُورَةً عَنْهُمْ مِنَ الْمَعَارِفِ  
وَالْعُلُومِ.

## محفوظات

قال «أبو نواس» يَصِفُ العَنْكَبَ:

وَقَانِصٍ مُحْتَقِرِ ذَمِيمٍ      كُدْرِيٍّ اللَّوْنِ، أَغْبَرِ، قَتِيمِ  
مُشْتَبِكِ الْأَعْجَازِ بِالْحَيَزُومِ      وَمَخْرَجِ اللَّحْظَةِ بِالْخَيْشُومِ  
أَضْيَقِ أَرْضًا مِنْ مَقَامِ الْمِيمِ      أَوْ نُقْطَةِ تَحْتِ جَنَاحِ الْجِيمِ  
لَيْسَ بِقَعْدِيدٍ، وَلَا نَوْومٍ      وَلَا — عَنِ الْحَيْلَةِ — بِالسَّوُومِ  
لَا يَخْلِطُ الْهَمَّةَ بِالتَّنْوِيمِ

قَانِصٌ: صَائِدٌ.

كُدْرِيٍّ اللَّوْنِ: مُغْبَرٌ غَيْرُ صَافٍ.

قَتِيمٌ: مَائِلٌ إِلَى السَّوَادِ.

الأَعْجَازُ: مُؤَخَّرَاتُ الْأَجْسَامِ.

الْحَيَزُومُ: الصَّدْرُ.

مَخْرَجِ اللَّحْظَةِ: الْعَيْنُ.

الْخَيْشُومُ: أَقْصَى الْأَنْفِ.

مَقَامِ الْمِيمِ: الدَّائِرَةُ الَّتِي يَتَأَلَّفُ مِنْهَا رَأْسُ حَرْفِ الْمِيمِ.

الْقَعْدِيدُ: الْعَاجِزُ الْكَثِيرُ الْقُعُودِ.

النَّوُومُ: النَّائِمُ.

السَّوُومُ: السَّرِيعُ الْمَلَلِ.

## العنكبُ الحزين

يَقُولُ: هَذَا الْحَيَاوانُ الَّذِي يَعِيشُ مِمَّا يَصْطَادُهُ، تَحْتَقِرُهُ الْعَيْنُ وَيَذُمَّهُ اللِّسَانُ، وَفِي لَوْنِهِ  
عُزْرَةٌ تَجْعَلُهُ أَقْرَبَ إِلَى السَّوَادِ.

وَإِنَّهُ مُتَدَاخِلِ الْجَسَدِ، حَتَّى إِنَّ صَدْرَهُ لَيَسْتَتِكُ بِمَوْخَرِ جِسْمِهِ، وَعَيْنُهُ تَشْتَبِكُ بِأَنْفِهِ.  
وَإِنَّهُ صَغِيرٌ ضَائِلٌ، حَتَّى لَتَرَى رَأْسَ الْمِيمِ أَوْسَعَ مِنْهُ.

وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِالْخَامِلِ الْقَاعِدِ، بَلْ يَعْمَلُ وَيَسْعَى جَاهِدًا، لَا يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْمَلَلُ مِنْ طَلَبِ  
الْحَيَلَةِ، وَلَا يَشْغَلُهُ النَّوْمُ عَنِ بَدَلِ الْهَمَّةِ.

يَصِفُ الْعَنْكَبُ بِأَنَّهُ هُمَامٌ، دَائِبٌ عَلَى الْعَمَلِ، عَيْرٌ مُتَرَاخٍ فِي الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ عَلَيْهِ، وَلَا  
مُخَلِّدًا إِلَى الْبَطَالَةِ.